

تاريخ الزمن الراهن

ترسخت فكرة ارتباط كتابة التاريخ بالماضي، ومما زادها ترسيخا كتابات بعض المؤرخين الكبار من أمثال ابن خلدون الذي اعتبر أن التاريخ يقف على أحوال الماضي الضاربة في عمق التاريخ، مع الإمكان بقربها من زمن المؤرخ، ويمكن أن يعيش المؤرخ الأحداث لكنه يتحفظ على تناولها. وقد تناول مؤرخو التاريخ المعاصر بدورهم الحقب الماضية فضلا عن الفترة الراهنة، هذه الفترة التي بقيت حكرا على المختصين في علم الاجتماع والانثروبولوجيا والسياسة والصحفيين. لكن حتى المؤرخين صوبوا وجهة أقلامهم للكتابة ودراسة وتحليل أحداث الزمن الراهن، رغم أن الإقدام على هذه العملية يتطلب جهدا مضاعفا.

* سياق بروز كتابة تاريخ الزمن الراهن

برز تاريخ الزمن الراهن على يد زمرة من المؤرخين بعد الأحداث السياسية التي عرفها العالم خلال القرن العشرين الميلادي، خاصة ما يتعلق بالأنظمة الديكتاتورية وخرق مبدأ حقوق الإنسان، وظهور العدالة الانتقالية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ تمت محاكمة النازية، وتراجع حكم الأنظمة العسكرية بكل من اسبانيا والبرتغال واليونان، وسقوط أخرى بأمريكا الجنوبية، والقضاء أيضا على الميز العنصري في دولة جنوب أفريقيا. ويبقى تاريخ الزمن الراهن مرتبطا باستخدام الرواية الشفوية حسب مدرسة شيكاغو الأمريكية سنة 1957م، وبعد مرور حوالي ست سنوات طلقت عليه عبارة التاريخ المباشر، أما في فرنسا التي عرفت تقلبات على المستوى الثقافي خاصة بعد سنة 1968م، وذلك نتيجة الانحطاط الاقتصادي الذي دفع بالمجتمع الفرنسي إلى المطالبة بتحسين أوضاعه الاجتماعية، خلالها بدأ الحديث عن التاريخ القريب، وشرعت الحركات الفكرية في التساؤل حول كتابة تاريخ الزمن الراهن، مما أدى إلى تشييد معهد تاريخ الزمن الراهن الذي انبثق من رحم المركز الوطني للبحث العلمي. أولى هذا المعهد اهتمامه إلى دراسة السنوات الأخيرة باعتبارها فترة لن تنال حقها من البحث، على إثره فرضت دراسة تاريخ الزمن الراهن نفسها في الوسط الفرنسي وكذا العالمي.

توالت الدعوة إلى توسعة حقل تاريخ الزمن الراهن حتى لا يبقى مقتصرًا على التاريخ السياسي، فتضاعف الطلب على مؤرخي هذا الحقل، فهو يشغل على مستوى المفهوم حيزا ضيقا، لأنه بمجرد الغوص فيه ترتمي في أحضان الماضي الشيء الذي يطرح إشكالية الزمن بكل أبعاده الماضي والحاضر والمستقبل. وعلى العموم فتاريخ الزمن الراهن يولي اهتماما إلى الأحداث القريبة من الحاضر، التي يمكن للفاعلين فيها الإدلاء بشهاداتهم حولها، ويمكن القول، إن الكتابات التاريخية الفارطة تناولت الكتابة حول الزمن الراهن على يد مجموعة من المؤرخين وفي مقدمتهم ابن خلدون، وذلك باعتماده على شهادة

الشهود والفاعلين. ويتحول التاريخ الراهن في بعض الأحيان إلى تاريخ آني لحضي، فيسقط المؤرخ في حقل الكتابة الصحافية التي تختلف عن الكتابة التاريخية المقيدة بالمنهج والمصادر.

استنتجا مما سبق، عرف تاريخ الزمن الراهن عدة تسميات تتوزع ما بين التاريخ القريب والتاريخ الفوري والتاريخ الساخن والتاريخ الآني والتاريخ اللحظي.

المؤرخ وكتابة التاريخ الراهن

انقسم المؤرخون حول كتابة تاريخ الزمن الراهن بين معارض ومؤيد، ففريق المؤرخين المعارضين عارضوا إقحام الزمن الراهن ضمن حقل التاريخ بعد عدم الثقة في صدق التاريخ الحاضر، وأكدوا أن التاريخ لا يمكن كتابته من خلال الشهادات والمذكرات والجرائد...، واعتبروا الكتابة حول هذه الفترة خروج عن المألوف في الكتابة التاريخية، واقتحام حقل تخصصات أخرى، كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والعلوم السياسية. بل ذهبوا إلى القول بأن تاريخ الزمن الراهن يعاني من تعارض المفردات المؤسسة له، وعدم توفر أرشيف هذه الفترة، علاوة على التداول في قضايا حساسة تفرض على المؤرخ عدم الخوض فيها، فيما وسائل الإعلام أصبحت تزاحمه في ذلك ولا تتردد في مناقشتها. ومن أبرز الانتقادات التي وجهها الفريق المعارض لمؤرخي تاريخ الزمن الراهن، السقوط في العمل السياسي بدل ممارسة الكتابة التاريخية المحضة، وقد قال مارك بلوك لطلابه في هذا الصدد "منذ سنة 1830م لا نتحدث عن التاريخ، وإنما عن السياسة".

أما الفريق المؤيد الذي ركب سهوة الكتابة حول تاريخ الزمن الراهن، ودعا الفريق المعارض للخوض في هذا الحقل، مؤكداً أن ما تم الترويج له لا يقوم على أسس منطقية، لأن المصادر يمكن تعويضها إذا كان نقص في الأرشيف الرسمي بالشهادات الشفوية والكتابات الصحفية والأترنت، وما يبث على وسائل الإعلام السمعية والبصرية. أما عنصر الموضوعية في الكتابة التاريخية يمكن أن يغيب حتى في دراسة الفترات ما قبل الزمن الراهن. وإن الاختلاف حول كتابة تاريخ الزمن الراهن ليس بالأمر الجديد، بل مرت كتابة التاريخ المعاصر بنفس الظروف، وقد كان رواد مدرسة الحوليات متحمسين للكتابة حول التاريخ القريب والانفتاح على حقل علم الاجتماع والأنثروبولوجيا...، لكن هذا الانفتاح تراجع مع الجيل الثاني لمدرسة الحوليات الذي فرضته التحولات التي سادت العالم نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين الميلادي. ساهمت هذه التحولات في نفخ الغبار على تاريخ الزمن الراهن، مما جعل مؤرخ التاريخ الراهن يعزز مصداقيته وحضوره.

عموما اعترف المؤرخون بأن الخوض في الكتابة التاريخية حول الزمن الراهن صعبة المنال، لكن رغم ذلك أجمعوا على أن تاريخ الزمن الراهن يحتاج إلى مؤرخين محنكين للوصول إلى الحقيقة، وتخليصه من أقلام الإعلام.

كتابات بعض الدول حول الزمن الراهن

فرنسا: اهتم المؤرخون الفرنسيون بالتأريخ للزمن الراهن بعد نهاية أحداث الحرب العالمية الثانية، وقد وظفوا آليات اشتغال جديدة، تتجسد في الاعتماد على الكتابات الصحفية ومختلق أنواع الأرشيف، زيادة على وسائل الإعلام السمعية والمرئية، وقد عرفت فترة السبعينيات تأسيس معهد سنة 1978م يهتم بدراسة تاريخ الزمن الراهن، بداية بأحداث القرن العشرين الميلادي التي طالها التعتيم، ومن أبرزها العلاقات الفرنسية بالدول التي احتلتها.

تونس: تأثر المؤرخون التونسيون بنظرائهم في فرنسا، فشرعوا في الكتابة حول تاريخ الزمن الراهن، حيث تم تأسيس المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية سنة 1990م، هذا المعهد الذي أولى اهتمامه الكبير لدراسة فترة حكم الحبيب بورقيبة الذي أطاح به زين العابدين بن علي، وإلى جانب هذا اهتمت الجامعات التونسية بدورها بفترة الاحتلال الأجنبي. وتعتبر ثورة تونس سنة 2011م التي كانت تبث على وسائل الإعلام البصرية والسمعية مباشرة حدثا كبيرا تحول أمامهم إلى تاريخ.

المملكة المغربية: اهتم الدارسون بإسهاب بالأحداث والتحويلات التي عرفتها المملكة المغربية خلال القرن التاسع عشر، لكن هذا الاهتمام بدأ يتلاشى مع فرض الحماية، فأصبح التاريخ القريب يتناول رواد العلوم السياسية وكتاب المذكرات والصحف، أما البحث الجامعي فقد ظلت تعترضه مشكلة غياب الوثائق الخاصة بالمؤسسات الإدارية والحزبية والإعلامية، وصار المؤرخون الأجانب المتحررون من القيود يكتبون حول تاريخ المغرب. هذه الكتابة التي ظهر مثلها عند المؤرخين المغاربة إلى حدود الانفتاح السياسي الذي ساد المغرب.

تحركت الكتابة التاريخية في المغرب حول الزمن الراهن منذ اعتلاء الملك محمد السادس العرش، الذي دعا إلى الحرية ودولة الحق والقانون، فاستغل المؤرخون هذا الانفتاح الذي عبد الطريق أمامهم للكتابة حول هذه الفترة الحساسة، خاصة بعد تأسيس مركز من صلب اهتمامه دراسة تاريخ المغرب بعد رفع الحماية، وإحداث مؤسسة أرشيف المغرب سنة 2011م، التي اتخذت على عاتقها جمع أرشيف عام وصيانته وتسهيل مأمورية وضعه بيد الباحثين، وقد تأتي لهذه المؤسسة استرجاع العديد من الوثائق التي سقطت بيد الاحتلالين الفرنسي والاسباني، التي همت الفترة ما بين 1912م - 1956م وما وآلها من أحداث. لكن كل هذه الجهودات تبقى ناقصة لأنها لم تستطع جمع كل الوثائق، لأن الكثير منها تعرض

للضياع، فيما البعض منها بقي حبيس أيدي بعض العائلات أو المؤسسات التي تتحفظ عن الإفصاح عنها، مما يصعب على المؤرخين الشباب الوصول لهذه الوثائق. وقد اهتمت بعض الجامعات المغربية كذلك بدراسة تاريخ الزمن الراهن، إذ شرعت منذ بداية سنة 2012م في تكوين دكاترة متخصصين في تاريخ الزمن الراهن، مما ساهم في تخرج العديد من المختصين في هذا الحقل، وتمكينهم من آليات الاشتغال لمعرفة كيفية التعامل مع المصادر التي تهتم بالتاريخ الراهن. هذا الاهتمام خلف زخما من الدراسات حول القضايا والأحداث التي عرفتها المملكة المغربية خلال الفترة الراهنة، التي تتنوع ما بين سياسة الأحزاب والنفقات، والأعمال التي قام بها جيش التحرير، والانقلابات، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. في الختام يمكن القول، إن الكتابة التاريخية حول أحداث ووقائع الزمن الراهن عرفت ازدهارا متواترا بداية من النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، إذ نجد العديد من المؤرخين والباحثين اقتحموا هذا المجال، في حين فضل البعض منهم الابتعاد عنه، لأن التوصل بالمادة المصدرية يبقى صعبا نظرا لحساسية المواضيع.